على ذكر التعداد الاخير :

سكان مصر

من أقدم العصور الى ما بعد الفتح الاسلامي[1]

لعلّ المصريين أقدم الشعوب عهداً بالاحصاء او التعداد . ففي فجر التاريخ ، كان الملك مما يقوم باحصاء السكان في مملكته مرة كل سنتين ثم مرة كلّ سنة (برستد) وهو عمل كان يقتضيه تنظيم مصر السياسي الدقيق حينئذٍ . وفي ايام امنمحت الاول في سنة ٢٠٠٠ ق . م نجد اشارات الى الاحصاء وكذلك في القرن السادس قبل الميلاد . وكان الرومان يقومون بعمل التعداد مرة كل اربع عشرة سنة في اثناء حكمهم . وفي ايام الرومان ثم العرب ثم العثمانيين كانت هناك قوائم للمكلفين يمكن ان تعتبر بمثابة احصاء

ولكن من المتعذر معرفة عدد السكان في مصر في تلك العصور لان ما وصل الينا من وثائق التعداد لا ينقع غلة ، ولكننا نجد في آثار بعض الكتاب الفراعنة واليونان والرومان والعرب ، ارقاماً يمكن ان نحسب قريبة من الحقيقة

كان عدد المصريين في سنة ١٥٠٠ ق . م يقدر بثلاثة ملايين . ولكن الاستاذ مصطفى عامر يذهب في رسالة لهُ عن مشكلة السكان في مصر الى ان القطر المصري كان يقيم اود ١٨ مليوناً من السكان في الالف الاولى ق . م وقد بنى رأيهُ هذا على زيادة خصب الارض حينئذٍ في الدلتا ، التي كانت مساحتها الصالحة للزراعة اكبر جدًّا مما هي الآن قبل تكوُّن البحيرات المالحة والبطائح والصحاري فيها

ولكن ليس عندنا في الاسانيد القديمة ما يؤيد هذا الرقم . وقد كتب المؤرخ ديودورس سيكولوس في القرن الاول قبل المسيح فقال ان سكان مصر في عهد الفراعنة كانوا سبعة ملايين وفي العصر البطليموسي (وهو عصره) ثلاثة ملايين

وفي سنة ١٨٨٦ ظهر كتاب ليوليوس بلوخ Beloch وذهب فيهِ الى ان عدد سكان

---

(١) ملخص من كتاب الدكتور وندل كابلند "The Population Problem in Egypt" راجع رسمه في مكتبة المقتطف

مصر عند وفاة اغسطس قيصر في سنة ١٤ ب.م. كان خمسة ملايين وان مساحتها كانت ٢٨ الف كيلومتر مربع ومتوسط عدد السكان في الكيلومتر المربّع ١٧٩ نفساً او ٤٦٥ في الميل المربع. وقدر المؤرخ بدّج عدد سكان مصر في عهد فسبسيانوس (٦٩ ب.م.) بثمانية ملايين وذلك اعتماداً على قوائم المكلفين (اي دافعي الضرائب) وأورد المؤرخ يوسيفوس قولاً للملك اجريبا في القرن الاول الميلادي يستفاد منهُ ان سكان مصر كانوا سبعة ملايين ونصف مليون ماعدا سكان الاسكندرية وان حدود مصر كانت تمتدُّ الى الاحباش وبلاد العرب السعيدة ومناخة للهند

وفي القرن السابع الميلادي فتح العرب مصر وقد ذكر المؤرخ لاين پول في كتابه « تاريخ مصر في القرون المتوسطة » ان مؤرخي العرب اوردوا ان عمرو بن العاص جمع في سنة ٦٤٤م مال جزية قدرهُ ثمانية ملايين دينار من الذكور البالغين من اهل الذمة. فاذا حسبنا انهُ جمع دينارين من كل ذكر وهو المبلغ المألوف في تلك الايام كان عدد الذكور الذين يزيد عمرهم على ١٠ سنوات اربعة ملايين واذا فرضنا ان هذا العدد كان ٣٠ في المائة من عدد السكان — وهذه هي النسبة التي نستخلص من تعداد سنة ١٩٢٧ — كان عدد سكان مصر غير المسلمين في سنة ٦٤٤م ثلاثة عشر مليوناً وثلاثمائة الف وهو قريب من عدد السكان في هذا العصر. ولكن شيئاً من الريب يتطرق الى هذا التقدير. لان المؤرخ الذي أورد ما تقدّم أورد كذلك ان مال الخراج كان ثلاثة ملايين دينار، بواقع دينارين للفدان الواحد. اي ان عدد الفدادين المزروعة ما عدا المدن الكبيرة والاراضي التي يملكها عدد يسير من المسلمين كان ١٥٠٠٠٠٠ فدان. واذا قطن عدد كبير من الناس يزيد على ١٣ مليوناً مساحة من الارض لا تزيد على ١٥٠٠٠٠٠ فدان كان ازدحامهم أربعة أضعاف او خمسة أضعاف ما هو الآن في مصر وهو ما لا يعقل

وفي القرن التاسع الميلادي جاء في كتابات بعض المؤرخين العرب ذكر خراج يبلغ ٤٤٨٥٧٤٠٠٠ دينار أي ان عدد الافدنة التي كانت مزروعة بلغ ٢٤٢٨٤٠٠٠ فدان. فاذا فرضنا ان ازدحام السكان في هذه الاراضي كان كمتوسط ازدحامهم الآن في المناطق الزراعية كان عدد سكان مصر غير المسلمين في القرن التاسع الميلادي ٥٤٣٩٠٤٠٠٠ ويجب ان يضاف الى هذا الرقم عدد سكان الاسكندرية والفسطاط وكان معظم السكان المسلمين يقطنونها حينئذٍ. أما الاسكندرية فكان عدد سكانها في القرن الثامن خمسمائة الف على ما روي وأما الفسطاط التي أسست في القرن السابع فأصبحت بحسب قول المؤرخ ملن في مقدمة المدن الاسلامية. واذن يصحُّ القول بأن سكان مصر في القرن التاسع كانوا يتفاوتون بين خمسة ملايين وستة ملايين وهو رقم يتفق مع تقدير بلوخ لعدد السكان فيها في القرن الاول الميلادي. ومما يرتاب فيه الباحثون المعاصرون ان سكان مصر أربوا في العصور القديمة والمتوسطة على سبعة ملايين او ثمانية